



تمثل المدرسة المجتمع المحلي للطفل الذي يشعر فيه في بيئته الاجتماعية بذاته ووجوده وشخصيته من خلال شغله لمقعد بيداغوجي في القسم ومناداته باسمه وأمره بفعل واجبات منزلية ومحاسبته عليها، وتلقيه لأنواع من الجزاء أو العقاب على سلوكه وتصرفاته. كما أن المدرسة هي المحيط الذي تنصهر فيه تفاعلات التلاميذ ونزعاتهم الشخصية وخصائصهم الفردية ودوافعهم النفسية، وخلال هذا التفاعل والانصهار يتم تعديل سلوك التلميذ وضبطه والارتقاء بمستوى التكيف والتوافق الاجتماعي والتحصيل الدراسي.

د. الطاهر سواكري

أثر البيئة المدرسية في ظهور السلوك المنحرف والإجرامي عند التلميذ

ولا يقتصر دور المدرسة على تلقين العلم والمهارات الفنية بقدر ما يرتبط دورها بتوجيه الفكر وتكوين شخصية الطفل، وتوجيه النمو الاجتماعي الوجهة التي يرتضيها المجتمع. فهي المحيط الذي يتربى فيه الطفل ويتلقى فيه قواعد السلوك والآداب والمحيط الذي يطبع فيه الطفل اجتماعيا بشكل يجعله فعالا في المجتمع⁽¹⁾.

إن التجمع التلقائي للأطفال في المدرسة يهيأ إعادة تكوين علاقات اجتماعية جديدة لأحاسيس ومشاعر التلاميذ وتطلعاتهم وتشكل دوافع وحوافز مشتركة لاكتساب العلم والمعرفة. فإذا كانت المدرسة مركز بناء العقول والأجسام السليمة، فإنها في الوقت نفسه تتمتع بكيان يبني على أساس العلاقات المتكافئة التي تنتجها البيئة المدرسية بين التلاميذ.

إلى جانب هذا نجد تأثير كل من العلم والتنشئة الاجتماعية في ممارسة الحياة الاجتماعية المدرسية وتشكيل التكافؤ الاجتماعي بين عناصرها وبالتالي تساعد التلميذ ليكون وسيلة نقل ما يستوعبه في المدرسة إلى أسرته وغير ذلك من الأوساط التي تحيط به في حياته⁽²⁾، فالمدرسة تعلم الطفل كيف يتفاعل مع الآخرين بالكيفية التي يقبل بها المجتمع كما تلقنه كيف يتصرف في المواقف التي يتعرض إليها في حياته الاجتماعية، ففي المدرسة يقيم الطفل علاقات مع زملائه التلاميذ ويتفاعل معهم وقد يكون هذا التفاعل ايجابيا يأخذ مظاهر الحب والمشاركة أو تفاعل سلبي يأخذ مظهر الكره والتفرقة، كما تتجدد علاقتهم على أساس أعمارهم ومرحل نموهم وحاجاتهم النفسية، العقلية، الاجتماعية والجسدية، لذلك فواجب المدرسة كبيئة اجتماعية بذل الجهود لتحضير بيئة سليمة تشكل فيها جملة العلاقات الايجابية ومن بينها علاقة التعاون علاقة التنافس الايجابي وعلاقة المودة والتفاهم⁽³⁾.

كما يدخل الأطفال في علاقة مع المعلمين والمدرسين الذين يعتبرون القدوة للتلاميذ، لهذا عليهم أن يتحلوا بالأخلاق والصفات الحسنة كي تنعكس في علاقاتهم ببعضهم البعض، وعلاقاتهم بالتلاميذ، ولا بد أيضا على المعلمين أن يقيموا فيما بينهم علاقات أساسها التفاهم والتعاون بدلات من العلاقات التي أساسها التنافر، الخلافات والتباهي أمام التلاميذ.

كما تتشكل علاقة التلاميذ بالمدير على أساس مركزه الذي يشغله في البيئة المدرسية حيث يعتبر الفاعل الأساسي في إدارة المدرسة وهذه العلاقات في تشكيلها تتأثر بعوامل النية، الخبرة، التجربة، فالمدير وباقي المساعدين له يكونون هيئة الإدارة كسلطة تنظيمية ولكنها تتضمن تفاوتات في مراكز أفرادها وأدوارها⁽⁴⁾. ومن ثم ينبغي للمدير أن لا يقلل من وضع مساعديه أو المعلمين وحتى التلاميذ بحيث يجب أن تكون علاقة بينهم قائمة على أساس التواضع والثقة والاحترام. ولا يمكن فصل المدرسة عن المجتمع لكونه يتكون من تلاميذها وعادات وتقاليد مشتركة، فالمدرسة تتلقاهم من هذا المجتمع لتهيئتهم حتى يصبحوا أفراد صالحين وإعدادهم اجتماعيا. إن التفاعل بين المدرسة والأسرة ضرورة ملحة تتطلبها مصلحة الأطفال باعتبار أن الأسرة والمدرسة هما المسؤولان عن تنشئة الأطفال وأن دور كل منهما يكمل الآخر. ومن العوامل التي تتحكم في أهمية التفاعل هي كما يلي⁽⁵⁾.

- المشكلات الأسرية تؤثر في تحصيل التلاميذ الدراسي مما يؤدي إلى ضرورة التعاون بين الأسرة والمدرسة.
- لمنع التغيب أو التسرب عند الأطفال لا بد من استمرارية الإشراف عليهم من قبل الأسرة والمدرسة.
- التعاون من أجل الحد من الخلافات والصراعات بسبب تعارض بين وجهات النظر في الأمور التعليمية بين الأسرة والمدرسة.
- تنظيم اجتماعات دورية بين المدرسة حيث يلتقي التلاميذ بأولياءهم ومعلميهم.

إن للتنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأسرة تأثير على التحصيل الدراسي والنجاح عند الطفل " فالقيم والمعارف وأساليب التنشئة الأسرية تساعد على النجاح الدراسي للأطفال الذين ينتمون إلى مختلف الطبقات الاجتماعية " (6). وقد بينت عدة دراسات وجود علاقة بين القيم الأسرية ومدى اندماج الأطفال في المدرسة كما بينت هذه الدراسات تأثير أساليب التنشئة الأسرية على النجاح أو التسرب المدرسي عند الأطفال حيث نجد في الأوساط الاجتماعية التي تساعد أبناءها على المراجعة في البيت لأسباب مختلفة مما ينعكس سلباً على النتائج الدراسية للطفل.

كما تشترك كل من الأسرة والمدرسة في عملية وذلك بتظافر الجهود بين الوالدين والمعلمين وإدارة المدرسة ويحصر دور الأسرة بمتابعة الطفل قفي البيت من حيث القيام بواجباته المدرسية وكذا متابعته في المدرسة حتى لا يهمل دروسه ولا يلجأ للانحراف والجريمة، وحسب الدراسات أن الأمهات هن أكثر متابعة لأبنائهن في المدرسة وخاصة الأمهات اللواتي ينتمين إلى الطبقات الاجتماعية الراقية. وإن عدم اندماج بعض التلاميذ الذين ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية الدنيا في الوسط المدرسي يشعر التلاميذ بعدم إعطاء اعتبار للثقافة التي ينتمي إليها مما قد يدفعه لإتباع السلوك الإنحرافي. فبعض الأطفال حين ترفض القيم التي ينتمون إليها في الوسط المدرسي ينحرفون حفاظاً على كرامتهم (7).

دخول هذا العالم (المدرسة) هو امتحان صعب للطفل والمراهق على حد سواء وتحدي لاختبار إمكانية الاندماج فيه ومن هنا فهم القلق والتوتر الذي يعيشه الطفل والمراهق في هذه المرحلة وكذلك فهم التصرفات العنيفة الذي قد يمارسها التلاميذ في المدرسة، وهنا يظهر دور المعلم (المدرس) في مساعدته لفهم ما الذي يحدث له من أجل تهيئته والسيطرة على انفعاله (8)، وهنا تظهر فاعلية علاقة المعلم بالتلاميذ في الحد من السلوكات المنحرفة لدى التلاميذ والتقليل من العنف الممارس من طرفهم وهذه المهمة تتطلب تظافر الجهود بين المدرسة والأسرة بمتابعتها للطفل في المدرسة عن طريق الاتصال بمدير المدرسة أو المعلمين خاصة إذا تعلق الأمر بالصعوبات التي يواجهها الطفل في المدرسة من حيث تتبع واستيعاب الدروس حتى يحس الطفل أن الأسرة حاضرة بصفة قوية في حياته المدرسية.

وتظهر العلاقة بين المدرسة والأسرة في أن المعاملة السيئة من طرف الأسرة يمكن أن تؤثر في تحصيلهم الدراسي كنقص التركيز في الدراسة أو بعض المشاكل الذاكرة. هؤلاء الأطفال قد يعانون اضطرابات في السلوك كالانطواء أو التصرف بعدوانية مع زملائهم في الدراسة، وفي بعض الأحيان تسوء العلاقة بين التلاميذ في المدرسة والمعلم مما يصعب مهمة التدريس لهذا الأخير والذي لا يعلم بدوره أن التلاميذ يعانون من المعاملة السيئة فهو يفهم هذا السلوك بطريقة خاطئة (9).

وقد ينقل الأطفال المشاكل التي يعانون منها إلى المدرسة كالمعاملة السيئة من طرف الوالدين والتي قد تدفعهم إلى الدخول في شجارات مع الآخرين من مدرسين، تلاميذ والإدارة بحيث تصبح المدرسة في هذه الفترة غالباً المكان الأول الذي ينشأ فيه الطفل علاقات مع المحيط الخارجي للأسرة من خلال الطفل "يتلقى

قواعد جديدة يكون علاقات مع أقرانه من الأطفال، يربط علاقات مع أساتذته والذي يكبرونه سنا وحتى أنه يتبنى قيمهم وتصبح القدوة بالنسبة إليه⁽¹⁰⁾. إن بعض الأطفال يدخلون المدرسة وهم في حالة فراغ تربوي أو يدخلونها وهم يعانون من نقص في العقل والجسد، فيكون من دور المعلم التقطن على هذه النقائص ومحاولة التعامل مع هؤلاء الأطفال بطريقة عادية، فبدلاً من الكشف والإعلان عن تلك النقائص لتفسير إخفاق بعض التلاميذ يحسن به التغاضي عنها وتشجيع هؤلاء التلاميذ على التغلب على هذه النقائص وبهذا التصرف إن لم يضمن لهم النجاح فهو على الأقل يخفق من وطأة النقص الذي يعانون منه بعض التلاميذ. إن التلميذ لا يبالي عادة بما فيه من نقص خلقي أو تربوي بل يراه عادياً وإنما يغضب إذا عير به وأشد ما يكون غضبه أن يعير به أمام الناس⁽¹¹⁾. وعلى المعلم أن لا يعير التلميذ بما فيه من نقص أمام زملائه وان يرميه ببعض الألقاب، فهو بفعله يكون قد زاد الأمور تعقيداً، بل يخشى إن تكررت السخرية من طرف المدرس أن تخلق في الطفل روح الإحباط والانتقام التي هي وراء جرائم العنف في كثير من الأحيان التي تصدر من التلاميذ داخل بيئة المدرسة.

إن المدرسة هي الحيز الذي يعيش فيه الأطفال ويتلقون فيه المعارف المختلفة حيث يقضون فيها حياتهم بمعدل 6 أو 8 ساعات يوميا وبطريقة منتظمة، يتعلمون من خلالها التفاعل الاجتماعي في فترات طويلة ومهمته من الناحية النفسية والتي تساعد الطفل على النمو والتطور⁽¹²⁾. وبالنسبة للمعلم فالمدرسة هي المكان الذي يمارس فيه حياته المهنية يقدم فيها الدرس للتلاميذ فهو إذن مرتبط بعقد مع مؤسسة تربوية يقوم من خلاله بواجباته اتجاهها وتجاه التلميذ. وبالنسبة للأولياء فغن المدرسة هي المكان الذي يتعلم فيه أبنائهم ما هو ضروري لحياتهم المستقبلية والاندماج في الحياة وكذا الحصول على التربية السليمة تحميهم من الانحرافات. وذهاب الطفل إلى المدرسة يعين الانفصال عن الأسرة والخضوع لنظم وضعتها جماعة غير الأسرة وهي المدرسة.

وفي المدرسة يلتقي الطفل بعدد كبير من التلاميذ الذين نشأوا في بيئات متباينة اكتسبوا فيها أهواء مختلفة، متفاوتين في مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية وقدراتهم العقلية والنفسية، كذلك يلتقي الطفل بعدد من المعلمين أو المدرسين، لكل منهم سلوك وصفات خاصة به، يمثلون بالنسبة له السلطة التي تجب طاعتها، والمثل الذي يفترض التمثيل بها. وذلك إلى جانب إدارة المدرسة التي تمسك بزمام السلطة في هذه البيئة المدرسة⁽¹³⁾.

ويمكن أن تكون المدرسة مصدراً للسلوك الانحرافي والإجرامي بسبب تدخل بعض العوامل الخارجية كالأسرة مثلاً، فالأولياء يعلقون آمالاً كبيرة على نجاح أبنائهم في الدراسة وخاصة المراهقين منهم الذين يحسون أنهم أصبحوا مقيدين بطموحات أولياءهم، ولما يفشل هؤلاء المراهقين في هذه المهمة يتجهج البعض إلى كل ما يرمز إلى المدرسة (إدارة، معلمين)، وفي بعض الأحيان يلج بعض الآباء على

صبيغة مبالغ فيها على نجاح أبنائهم، وفي هذه الحالة قد يكون المستوى الدراسي للمراهق أقل مما يتصوره الآباء والذي يخلق بدوره الشعور بالنقص عند المراهق. ويلجأ بعض التلاميذ وخاصة المراهقين منهم إلى السلوكات المنحرفة حتى يثبتوا وجودهم سواء داخل المدرسة أو خارجها مثل تخريب لوازم السيارات، ونلاحظ وجود إلى جانب هذه السلوكات العنيفة والمنحرفة عند التلاميذ، منهم من يلجأ إلى السلوكات الإجرامية كتناول المخدرات، ممارسة العنف واللجوء إلى الانتحار وغالبا ما يعاني هؤلاء التلاميذ من مشاكل نفسية ومشاكل أسرية⁽¹⁴⁾. وهنا يظهر أن مسؤولية المدرسة غير مباشرة في انحراف التلاميذ لكن يمكن أن تكون لها المسؤولية المباشرة في لجوء بعض التلاميذ على السلوك الإنحرافي والإجرامي. ومن العلماء الذين يحملون المدرسة مسؤولية ظهور السلوك الإنحرافي عند التلميذ نجد إدوين سذرلاند الذي يرى أن المدرسة مثل المنزل قد " توجد منطقة انحراف وقد تؤثر في مختلف القيم الاعتبارية للأشخاص الذين قد يلاقيهم الطفل فيما بعد وقد تخفق في تقديم نماذج سلوكية ضد الإجرام، أو قد تغلق تجارب سعيدة أو مؤلمة في علاقات الطفل مع نماذج السلوك الإنحرافية " ⁽¹⁵⁾. ويظهر السلوك الإنحرافي والإجرامي عند التلميذ لعوامل مختلفة والتي من أهمها نوعية العلاقة الموجودة بين المعلم والتلميذ.

إن للمعلم دور وظيفي وفعال في العملية التربوية حيث يساهم في تكوين شخصية التلميذ عن طريق تزويده بالقيم والاتجاهات العامة وتنمية قدراته بالخبرات الضرورية واكتسابه المهارات المناسبة التي تؤكد على تكوينه النفسي والاجتماعي والتربوي⁽¹⁶⁾.

كما يظهر دور المعلم في المدرسة في العلاقات الاجتماعية مع إدارة المدرسة والتلاميذ فهو أساس العملية التعليمية والتربوية. ويرى الأستاذ معن خليل عمر أن المعلم في المدرسة من أقوى الشخصيات تأثيرا في عملية التنشئة المدرسة على التلاميذ حيث يلتقيهم منذ الصباح الباكر ويمضي معهم أغلب النهار وهو الذي يعلمهم المعارف المختلفة ويقوم بإرشادهم⁽¹⁷⁾. ولقد بينت الدراسات أن هناك علاقة بين شخصية المعلم أو المدرس وسلوكات التلاميذ في البيئة المدرسة، وهذا يؤدي بنا إلى ذكر نوعين من المعلمين ونقصد بهما المعلم المتسلط الذي يستعمل أسلوب القوة مع التلاميذ ثم المعلم سريع التهيج والذي يتصرف بطريقة غير لائقة مع تلاميذه الشيء الذي قد يدفعهم إلى ارتكاب السلوك المنحرف وهذا ما سوف نتطرق إليه لاحقا.

- المعلم المتسلط :

كلما كان النظام الذي يفرضه جافا كلما زاد إعجابا بنفسه والتلاميذ الذي يتميزون بالفتنة يجدون أنفسهم معارضين لهذا المعلم وموضوعين على الهامش خاصة إذا أدركوا أن موقف معلمهم التسلطي ما هو إلا وسيلة للتعويض وبهذه الوسيلة لا نتحصل إلا على نموذج فوضوي في التدريس⁽¹⁸⁾.

- المعلم سريع التهيج :

سرعة الغضب عند المعلم أو المدرس يعبر عن سوء التصرف والتكيف عنده يلجأ المعلم سريع الغضب إلى التهكم على التلاميذ ويبالغ في توبيخهم على أتفه الأسباب أو يعاقبهم عقوبات غريبة. فالمعلم الذي يصرخ ويهدد أو يشتم هو المعلم الذي فشل في الوصول إلى وسائل أخرى لتخفيف الضغط على نفسه⁽¹⁹⁾، مما يخلق عند التلاميذ العدوان تجاه المعلم وضد الآخرين أو ضد ذواتهم نتيجة سلوكات المعلم غير السوية .

ويمكن للعقاب الذي يمارسه المعلم سريع التهيج ضد التلاميذ أن يؤدي إلى نتائج سلبية ويكون سببا لدفعهم إلى السلوك الانحرافي وهذا ما عبر عنه جون لوك (Jonh loocke) (1632-1704) من خلال أفكاره التربوية عام 1693 بقوله " إن العقوبات المطبقة في المجال المدرسي ليست فقط غير مثمرة لأنها تنسى بسرعة، وإنما هي محفوفة بالمخاطر لأنها تدفع الطفل إلى مقت ما يجب أن يحبه " ⁽²⁰⁾. وقبل جون لوك كان لمونتاني (Montaigne) (1533-1592) موقفا في هذا الشأن إذ احتقر العقوبات الجسدية والنظام القاسي الذي كان سائد في المدارس الداخلية في زمانه ⁽²¹⁾.

ويمكن للمعلم أن يتصور أو يعرف نوعية الأسرة السوسيو الاقتصادية التي ينتمي إليها الطفل عن طريق العلاقات الإيجابية أو السلبية أو عن طريق تصرفات التلميذ الملائمة أو غير الملائمة، إن كل الأطفال الذين يعانون من سوء المعاملة في الأسرة يتصرفون بطريقة منحرفة في القسم حيث بينت الدراسة التي قام بها سيريلو (Cirillo) أن هناك علاقة بين العنف الأسري والسلوك المنحرف عند الطفل في المدرسة، كما بينت الدراسة أن الطفل الذي ينشأ في أسرة تنتشر فيها الخلافات الأسرية خاصة بين الزوجين تؤثر على سلوك الطفل حيث يميل إلى استعمال أو يتصرف بسلوكات منحرفة داخل الأسرة حيث يرفض تناول الأكل والنهوض مبكرا وحتى يرفض الذهاب إلى المدرسة والقيام بواجباته المدرسية ويظهر خارج الأسرة قلقا ومتأثرا وقد لا تبدي الأسرة اهتمام بما يجري لطفلها بعيدا عن الأسرة بالرغم من أنه يظهر نوعا من عدم الطاعة. ومن نتائج هذه الوضعية أن الطفل لا يتحصل على علامات جيدة ويتأخر على موعد الدروس، كما يدخل في شجارات مع زملائه التلاميذ ومنه يتعرض إلى العقوبة في الأسرة أو في المدرسة ويصبح الطفل في هذا الحال شخصا جالبا للمشاكل ⁽²²⁾، وقد يزيد المعلم سريع الغضب والتهيج الأمور سوءا قد تدفع بهذا الطفل إلى الهروب من المدرسة. ولا يسقط دور المدرس من مسؤولية انحراف التلاميذ في المدرسة وذلك مكن خلال الدور الذي يقوم به كمربي وفي هذا الصدد هناك مجموعة من السلوكات يسلكها المعلم تثير حفيظة التلميذ وقد تدفع به إلى ارتكاب أعمال عدوانية سواء ضد الآخرين أو ضد نفسه، حيث يقوم المعلم باحتقار التلميذ والحط من قيمته أمام زملاءه أو معاملته معاملة قاسية أو التنشيط من عزيمته، هذا السلوك يثير الحقد وينمي روح الانتقام قد تتجسد في شكل خصام أو ضرب المدرس والشجار مع التلاميذ أو حتى التفكير في الانتحار.

وإذا كان سبب اعتداء التلميذ على معلمه بسبب التصرفات غير اللائقة لهذا الأخير إلا أن هناك أسباب أخرى تدفع بالتلميذ إلى ارتكاب هذا السلوك العنيف وهي البيئة الأسرية، فالطفل المحاط في البيت الفقيرة والجريمة والبطالة والبيئة المادية المتدهورة، إضافة إلى آباء غير جاهزين للتربية ومهملين أو قساة سوف يحمل غضبا يجول في نفسه ويحول ذلك الغضب إلى أي جهة قد يكون المعلم إحداها⁽²³⁾. إن التجارب أثبتت أن من العوامل التي تبغض المدرسة للتلميذ وتدفعه إلى التغيب وعدم التكيف مع زملاءه هو الجو الذي يعيشه في المدرسة بصفة عامة وعلاقته بمعلمه بصفة خاصة. إن كره التلميذ لمدرسته وهروبه منها في حد ذاته لا يشكل جريمة أو انحراف وإنما هي خطوة لإنحراف إذ أن " التلميذ إذا هجر المدرسة فليس ليقى وحيدا في عزلة وإنما يفعل ذلك بحثا عن رفاق أكثر تجاوبا معه ولن يجدهم إلا في الشارع ومن أشباهه في المدرسة وربما كان من بين رد فعلهم يوما القيام بما يلتفت الانتباه إليهم " ⁽²⁴⁾.

سوء معاملة المعلم وقسوته قد يجعل من المدرسة مثيرا شرطيا للألم والعقاب ويجد الطفل في الهروب من المدرسة الوسيلة المناسبة لخفض التوتر والقلق وحينها "تصبح المدرسة أقل جاذبية لبعض التلاميذ الذي يجدون في البيئة الخارجية للمدرسة أكثر إمتاعا لتحقيق رغباتهم فيهربون إلى المناطق الجاذبة مما يسهل تعرضهم للانحراف وخاصة إذا ما اجتمعوا مع أصدقاء السوء " ⁽²⁵⁾، مما يبين أن الطفل يتأثر بشخصية المعلم وفي حالة تعرضه إلى سلوكيات قاسية وعنيفة قد تجعله ينفرد من الأجواء الموجودة في المدرسة ويحتضنه الشارع الذي فيه قد يتعلم السلوكيات الانحرافية والإجرامية .

إن ظاهرة الهروب من المدرسة أو الانقطاع التام عن الدراسة من الظواهر التي يحاول الكثير من المفكرين ربطها بلجوء التلاميذ إلى السلوك الإنحرافي والإجرامي. ويحدد المفكرون مفهوم الانقطاع التام عن المدرسة " بما يفيد انقطاع الشخص عن مواصلة برنامجه المدرسي في أي مرحلة من مراحل التعليم التقليدية " ⁽²⁶⁾. ومن هنا فإن الانقطاع التام عن مواصلة الدراسة يلغي دور المدرسة بصورة نهائية وينهي مسؤولياتها تجاه الطفل، وربما في مثل هذا الانقطاع التام عن الدراسة ما يبرر اهتمام العلماء بنتائجه عليه. فهو يترك الطفل حرا يتعلم كافة السلوكيات المنحرفة خارج المدرسة وبعيدا عن رقابة الأسرة والمدرسة معا. وقد ذكرت بعض الدراسات والبحوث بعض الخصائص التي تميز الأشخاص الذين ينقطعون عن الدراسة بصورة نهائية. وقد تختلف هذه الخصائص باختلاف الطبقات الاجتماعية التي ينتمي إليها الشخص .

فأفراد الطبقات الفقيرة الذين يتركون المدرسة يتميزون بالخصائص التالية ⁽²⁷⁾ :

- كراهيتهم الشديدة للطبقات الغنية وحسدهم الواضح لأفراد هذه الطبقات من جهة والجهة الأخرى خجلهم من الطبقات الفقيرة التي ينتمون إليها.
- انتمائهم لجماعة الأطفال المنحرفة وميلهم إلى استخدام العنف.
- استهلاكهم المخدرات بصورة واضحة.

- اتخاذهم مواقف صلبة متطرفة من جميع قضايا التي تواجههم.
- شعورهم بالعجز التام لتغيير الأمر الواقع أو تبديل النظام القائم.
- عدم التفكير بالقيام بأي محاولة في هذا السبيل.
وغالبا ما تسوء العلاقة بين المعلم والتلميذ لأسباب عديدة فالمعلم قد لا يعرف عن نفسه التلميذ والظروف التي تعيش فيها أسرته، وقد يلجأ المعلم إلى ضرب التلميذ أو إلى التأنيب المستمر أو الإهانة وغيرها من المعاملات القاسية. ولما تسوء العلاقة بين المعلم والتلميذ يكره هذا الأخير المدرسة والمعلمين ويلجأ إلى الهروب من المدرسة وعدم العودة إلى المنزل في مواعيد الدراسة خوفا من عقاب الوالدين ومن ثم يقضي الطفل وقت دراسته في الشوارع معرضا على العديد من المتاعب ورفاق السوء قد تدفعه إلى السلوك الانحرافي والإجرامي⁽²⁸⁾.
وقد بينت الدراسات النفسية والاجتماعية أن نوعية العلاقة بين المعلم و التلميذ تحتل مكانة أساسية في الذين يصفون به المعلم الجيد لكن هذا الوصف يبقى دائما مرتبط بكفاءة المعلم وبالنسبة للتلميذ فإن المعلم الجيد هو ذلك الشخص " الحريص الحاضر دائما، المتفهم لهم و الذي يسعى دائما لفائدة التلميذ من أجل الاستفادة من دروسه" (29).

إن علاقة المعلم بالتلاميذ تتغير حسب مستويات الدراسة، ففي الابتدائية أغلبية التلاميذ يعتبرون المعلم شخصا طيبا بينما تتغير هذه النظرة مع التقدم في مراحل التعليم حيث تسوء العلاقة بين المعلم (المدرس) والتلاميذ. بحيث تزيد الجراءة وعدم احترام التلاميذ للمعلم خاصة من طرف التلميذات اللاتي اللواتي ينتمين إلى الطبقة الراقية. أما في المرحلة الثانوية فإن المعلم الجيد والمثالي يقيم بالإمكانات المعرفة التي يملكها والمنهجية التي يتبعها في التدريس.
أما بالنسبة للتلاميذ الذين ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية الدنيا فإنهم يجدون المعلمين الذين يحفزونهم ويهتمون بهم شخصا. أما فيما يخص المدرسة الجزائرية فقد توصل الأستاذ بشير معمريه إلى أن تلميذات الطور الأول هن أقل انضباطا في المدرسة مقارنة بتلميذات الطور الثاني وتشير هذه النتيجة إلى أن الإناث كلما كن أصغر سنا أظهرن سلوكا عدوانيا، انحرافيا وتمردا عن قواعد الانضباط المدرسة واحترام الأستاذ أو المعلم إلا أن هذه النتيجة لم تكن نفسها لدى عينة الذكور (التلاميذ) حيث لم تظهر فروق بين تلاميذ الطور الأول والطور الثاني في المشكلات السلوكية خاصة في العلاقة مع المعلم، مما يشير إلى أن الذكور لا يتأثر سلوكهم التوافقي بالزيادة في العمر (30).

فالذكر عموما بغض النظر عن عمره يتميز بنفس السلوك الذي من أهم صورته الخروج عن النظام المدرسي و سوء علاقته مع المعلم.
وكما سبق الذكر أن متغير إلتناء التلاميذ إلى طبقة إجتماعية معينة له تأثير على سلوكهم داخل البيئة المدرسية. فالتلاميذ الذين يؤمن لهم أولياءهم الحاجيات المادية كافة من طعام جيد وملابس وأدوات ووسائل التسلية وغيرها يختلفون تماما عن " نظرائهم الذين يفتقدون لكل هذه الأمور التي تؤثر تأثيرا بالغا في حيويتهم و

نشاطهم و أوضاعهم النفسية، وقد يدفع هذا العامل تلميذاً للسرقة⁽³¹⁾. و يدفع تلميذ آخر من عائلة غنية أثناء انحرافه إلى الانشغال عن الدراسة والانصراف إلى أمور أخرى كتناول الكحول والتدخين واستهلاك المخدرات وغيرها مما تعود عليه بالضرر.

وقد تكون القدوة المنحرفة للمعلم أو المدرس دوراً في توحيد التلاميذ الذين يحرصون على تتبع سلوكه، وتصرفاته، فيما يتأثرون بها على نحو متباين شعورياً ولا شعورياً. فإن كانت شخصية المعلم (المدرس) قوية وسليمة انعكست سماتها الخيرة على التلاميذ، فتمثلوا في سلوكهم مما يساعد على إيجاد جيل ناشئ صالح، أما إذا كانت شخصية المدرس مشوبة بعلل خلقية وانحرافات سلوكية، فذلك سيعود بضرر على التلاميذ⁽³²⁾. إن تصرف المعلم بسلوكات منحرفة في نظر التلاميذ قد تجعل صورته تهتز عندهم وتشوه الصفات المستحبة التي يجب أن تكون متجسدة في تصرفات المعلم إلى " جانب تشويه صورة الأب، لأن المدرس بدوره التربوي هو بديل الأبوين في المدرسة " ⁽³³⁾. وفي هذه الحالة يتحمل المعلم المسؤولية في ظهور السلوك الإنحرفي عند التلميذ. فالطفل الذي يشاهد معلمه يدخل أمامه قد يلجأ إلى نفس السلوك حسب نظرية التقليد.

كما توجد علاقة بين المدرسة والمنطقة التي توجد فيها، فالمدارس التي تقع في المناطق الفقيرة والأحياء الشعبية التي لا تتوفر فيها شروط الأمن كالحراسة والرقابة والسياح قد يسمح للغرباء الدخول إلى المدرسة خاصة إذا كانوا منحرفين قد يدفعون بعض التلاميذ إلى الانحراف. ففي الأحياء الفقيرة قد تعجز المدرسة عن التعامل مع بعض التلاميذ الذين يفتقرون إلى الاستعداد الكافي لقبول فكرة التعلم واستيعاب الدراسة ولذلك تتقلب عملية التعليم ذاتها إلى إجراءات تسلطية وممارسات قهرية تجري من جانب واحد دون استجابة الطرف الآخر. ومثل هذا الأمر لا شك يضاعف شعور التلميذ بالرفض والتمرد على كل ما حوله والثورة على كل ما يصدر عن المدرسة من أنظمة وتعليمات وقواعد⁽³⁴⁾.

ومن العوامل التي تساعد التلميذ على الانحراف في المدرسة هي الرفقة أو الصحبة السيئة، فعند التحاق الطفل بالمدرسة والتقاءه بعدد كبير من التلاميذ المحيطين به. إذا قدر له مصاحبة الأخيار منهم نشرب من فضائهم وأخلاقهم وكان ذلك فاتحة خير نجاحه في حاضره ومستقبله.

أما إذا انقادوا لرفقاء السوء من زملاء المدرسة وسار معهم في مسالك الانحراف كان ذلك إيذاناً بسوء حاله في حاضره ومستقبله⁽³⁵⁾.

ونظراً لتوفر مغريات ممتعة ضاراً أصلباً في صحبة الرفاق السوء وإذا كان التلميذ سريع الاستهواء، فإنه يميل إلى مرافقة المنحرفين البارعين في الاقتناع فينشق معهم إلى الهروب من المدرسة ويتردد على أماكن الرذيلة والانحراف، والسقوط بالتالي في شباك المنحرفين جنسياً أو التورط في ارتكاب جرائم السرقة. وقد وجد سذرلاند أن هناك تأثير المدرسة في معدل نسبة الإجرام كثيراً والدليل على ذلك هو

أن الهروب من المدرسة والانحراف يرتبطان ارتباطا وثيقا بالمنطقة، وان الهروب من المدرسية غالبا ما يؤدي بالطفل على الانحرافات التي تشمل السرقة. وقد وجد كذلك سذرلاند أن نسبة التخلف عن الدراسة بين بعض جماعات الأحداث التي مثلت أمام المحاكم حوالي 60%، ومن بين 2061 سجيننا درست حالتهم تبين أن 40% أودعوا المؤسسة لأول مرة بسبب هروبهم من المدرسة وقد وجد "فرام Fram" أن 23% من 148 حالة للعائدين بالبالغين بدؤوا انحرافهم بالهروب من المدرسة (36).

وقد وجد الباحثون في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية أن هناك علاقة بين الهروب من المدرسة والرسوب المدرسي ولجوء الأطفال والمراهقين إلى السلوك المنحرف. ففي فرنسا وجد "هوير" في بحثه حول المجرمين الأحداث أن 65.5% منهم لم يوفقوا في مشوارهم الدراسي. وفي الولايات المتحدة الأمريكية وفي البحث الذي قام به السيد والسيدة "قلوك" على 1000 طفل منحرف مقارنة بفوج مماثل للمراقبة على غير المنحرفين توصل إلى أن الإخفاق المدرسي يسجل عند المنحرفين نسبة واضحة. أما عن أسباب هذا الإخفاق الدراسي فيرجع بالدرجة الأولى إلى الرفقة السيئة لبعض التلاميذ وسوء الانضباط والعصيان على كل ما يرمز إلى النظام المدرسي (37).

أما في المدرسة الجزائرية، فالفشل المدرسي والطرده من المدرسة وخاصة في سن مبكرة حسب الأستاذ "علي مانع" هو ملحوظ بدلالة قوية في أوساط المنحرفين. فالأطفال المطرودون من المدرسة في الجزائر في سن 13 و 14 سنة يجدون أنفسهم في حالة غياب الرقابة الأبوية، متسكعين في الشوارع بلا هدف، وبالتالي فإنهم يصبحون أكثر عرضة للاختلاط بالمنحرفين وبالنشاطات الإجرامية والتي يمكن أن تعطيمهم نوعا من الترقية وربحا ماليا ومركزا اجتماعيا، كما أن الطرد من المدرسة في سن مبكرة ينتج عنه تحصيل تربوي ضعيف، حيث تبين في بحث أجراه علي مانع أن 66% من المنحرفين قد طردوا من المدرسة نتيجة الإخفاق الدراسي (38).

أما عن أهم السلوك المنحرفة المنتشرة في البيئة المدرسة فهي على النحو التالي (39):

النشاط الزائد: يتميز سلوك الطفل في هذا المجال بكثرة الحركة والكلام والإزعاج المستمر للمعلم والزملاء، فهو دائم الخروج من مقعدة ويتحدث بصوت مرتفع، ويقاطع أحاديث زملائه ويخطف كتبهم وأدواتهم من بين أيديهم ويضرب الأرض برجليه. كما انه يميل إلى عدم الاستقرار وإحداث الفوضى باستمرار.

السلوك الاجتماعي المنحرف: يتميز سلوك الطفل في هذا المجال بأخذ أشياء الأطفال الآخرين دون استئذان أو إيفائها بقصد سرقتها، وبالكذب على زملائه عندما يحدثهم عن نفسه وأسرته، ولا غش في أداء واجبه وفي الاختبارات واللعب. وبالوشاية بالآخرين إضافة إلى تبجحه وعدم اهتمام نقد الآخرين.

سلوك التمرد في المدرسة : يتميز سلوك الطفل في هذا المجال بعدم الالتزام ورفض التعليمات والأوامر الصادرة إليه من المعلم، يفسد النشاط الجماعي واللعب ويستاء من سلطة الكبار والمعلمين ويتغيب عن الأنشطة الدراسية، ويترك القسم دون استئذان ويهرب من المدرسة ويخرج عن النظام باستمرار.

السلوك العدواني : يتميز سلوك الطفل في هذا المجال بضرب زملائه وإتلاف كتبهم وأدواتهم المدرسية وقذفهم بالأشياء التي في يده أو دفعهم أو شد شعرهم وأذنانهم وعضهم والبصق عليهم، واستخدام الإشارات التهديدية في تعامله معهم، كما أنه يميل إلى العنف ويغضب بسرعة لأتفه الأسباب.

السلوك الإنسحابي : يتميز الطفل في هذا المجال بتجنب التعامل مع الغرباء أو المشاركة في الأنشطة الجماعية أو الاختلاط بالآخرين، كما يتصرف بخجل أمام الآخرين وفي المواقف الجديدة ويبدو عليه الخوف وعدم الإحساس بالأمن، ويميل إلى الوحدة، ويتوتر بسرعة ويبدو عليه الضيق عندما يوجه له النقد، كما يترك المكان وينسحب بعيداً أو يبكي بسهولة .

- الوقاية والعلاج إزاء انحرافات البيئة المدرسية .

- حسن اختيار القائمين بإدارة المدرسة ومدرسيها وتوفير الخدمة الاجتماعية المدرسية هم الويلتان الرئيسيتان للوقاية والعلاج من انحرافات البيئة المدرسية .

أولاً : حسن اختيار القائمين بإدارة المدرسة ومدرسيها :

حسن اختيار القائمين بإدارة المدرسة ومدرسيها هو الضمانة الكفيلة بانتظام إدارة المدرسة والحيلولة دون اختلالها والكفيل وأيضا بالتعامل السليم مع التلاميذ وتجنب المعاملة الخاطئة، وحسن الاختيار يقتضي التأكد من كون الذين يتم اختيارهم ذوي شخصيات متزنة وسلوك قويم، متصفين بالهدوء. وذلك إلى جانب من الكفاءة الإدارية لمن يتم اختيارهم لتولي إدارة المدرسة، والكفاءة العلمية لمن يتم اختيارهم للتدريس.

كما ينبغي تنظيم دورات تدريبية لهم يتلقون دروس نظرية وعلمية في أصول التدريس وعلم النفس التربوي وطرق معالجة المشكلات المدرسية المحتملة.

ولأهمية الدور الذي تقوم به هذه النخبة المختارة في تربية الأجيال، فإنه لا بد من توفير جميع مقومات الرعاية المعنوية والمادية المناسبة لهم لتمكينهم من تبوأ المكانة اللائقة في المجتمع وأداء مهامهم المتميزة على النحو الأفضل .

ثانياً: توفير الخدمة الاجتماعية المدرسية :

إن انشغال المدرسين والمعلمين بمهامهم التدريسية لا يتيح لهم القيام بالرعاية الاجتماعية لتلاميذهم إلا بقدر محدود. كذلك لا يتسنى للقائمين بإدارة المدرسة سوى القيام بجزء من هذه الرعاية إلى جانب أداء واجباتهم الإدارية لهذا ظهرت الحاجة إلى وجود جهاز خاص للخدمة الاجتماعية في كل مدرسة وهذا لمساعدة التلاميذ على حل مشكلاتهم المختلفة ومحاولة الملاءمة بين التلميذ ومدرسته وبيئته وتشجيع المدرسين على اكتشاف التلاميذ ذوي المشكلات والتعاون على حلها. وكذا العمل على توطيد العلاقة بين المدرسة والأسرة وبحث الشؤون المتعلقة بأبنائهم

(41). كما أنشأت بعض الدول داخل المدرسة مكتبا للخدمة المدرسية النفسية والاجتماعية ليقوم بالفحص الطبي والنفسي للتلاميذ بطلب من الإدارة المدرسة لتشخيص الأمراض التي يشكون منها، ودراسة حالة التلميذ الاجتماعية والبيئة التي يعيش فيها ومدى علاقتها بمشاكلته وتبيان حالة التلميذ البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية التي تجعله يسلك السلوك الانحرافي والإجرامي (42).

وأمثلة على ذلك يرى المختصون في كندا انه يمكن للمعلم أن يلعب دورا فعالا في ترقية الصحة العقلية ووقاية الأطفال والمراهقين من التلاميذ من ارتكاب السلوك الانحرافي والإجرامي ونخص بالذكر اللجوء إلى الانتحار وذلك بواسطة جملة من الإجراءات (43):

- التعرف على التلاميذ الذين لهم ميولات انتحارية وعدم تركهم يواجهون مشاكلهم لوحدهم.

- خلق جو تسوده الثقة بين التلميذ والمعلم حتى يتمكن المعلم من مساعد التلميذ الذي يفكر في الانتحار.

- إخضاع التلميذ ذو الميول الانتحارية على المصالح المختصة في الخدمة الاجتماعية الموجودة بالمدرسة لمساعدته على تجاوز مشاكله.

- تقديم معلومات حول واقع الانتحار من طرف المعلم حتى يفهم التلاميذ خطورة هذا السلوك وعدم اللجوء إليه مهما كانت الدوافع.

- عدم إخفاء الحقيقة على التلاميذ في حالة وقوع انتحار في المدرسة وتقديم لهم المساعدة.

ولما يكون المعلم برفقة تلميذ له ميول انتحاري عليه أن يقدم له النصائح ويكلمه على الأمل ويصارحه بأنه هنا من أجل مساعدته لتجاوز مشاكله ومحنه. وحسب بيلودو (BILODO) وديمولو (DIMAULO) وترنبولاي (TREMBLAY) يجب على المعلم أن (44):

- يسمع للتلميذ بإمعان في جو يسوده الثقة والمساندة من طرف المعلم .

- يتكلم معه عن كل ما يتعلق عن الانتحار .

- يشرح له القصد من الاهتمام به .

يشجع التلميذ بطريقة ايجابية ليبعد عنه فكرة الانتحار .

- يبين له أن شخصية مهمة بالنسبة للآخرين وهذا من أجل أن يبعد فكرة الانتحار عن التلميذ .

وقد وضعت المنظمة العالمية للصحة مجموعة الإجراءات للحد من الانتحار بين التلاميذ في الوسط المدرسي. وتتضمن هذه الإجراءات برامج الوقاية من الانتحار عادة لقاء أو لقاءين وقد يصل إلى 12 لقاء التي تختلف باختلاف المدة حيث يدوم كل لقاء 90 دقيقة، يتم فيها عرض وثائق مكتوبة وصور وأشرطة فيديو تخص مشكلة انتشار الانتحار وهذا لكسر الطبوهات الموجودة بين التلميذ والمدرسة وخاصة بين المعلم والتلميذ ومساعدة التلاميذ الذين لهم ميولات انتحارية (45). وفي اعتقادنا يمكن أن نعمم هذه البرامج على السلوكات الإجرامية الأخرى الموجودة في

الوسط المدرسي مثل السرقة، القتل، العنف، الكذب، والشتم والشغب وذلك من أجل الحد منها. وفي اعتقادنا أن إخفاق البيئة المدرسية في تقديم المثل الكافية التي تعادي الإجرام التي حددها المجتمع للمدرسة فالمطلوب من المدارس أن تراعي الكثير من المهام الاجتماعية حسب رأي سذرلاند التي كانت أصلاً من اختصاص الأسرة والجماعات الأولية. مع العلم أن الإمكانيات والوسائل الثقافية لا تكفي لوحدها للحد من السلوك الانحرافي والإجرامي في المدرسة لأن المدارس التي تقع في المناطق الحضرية والتي بها أحسن الوسائل الثقافية يزيد معدل نسبة الجريمة فيها عليه في المدارس التي تقع في المناطق الريفية .

المراجع :

- 1- مصباح عامر : التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية، شركة دار الأمة، الجزائر، 2003، ص.114
- 2- مراد زعيمي : مؤسسة التنشئة الاجتماعية، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006، ص.149
- 3- نفس المرجع، 150.
- 4- نفس المرجع، 152.
- 5- محمد الشناوي وآخرون : التنشئة الاجتماعية للطفل، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص.31
- 6- Durand Bellat et van zanten angnés Henrid : **sociologie de l'école**, Armand colin éditeur, paris.1992, P164.
- 7- ibid, p 187.
- 8- Doudui pierre andré et erkaheu – Markus Mariam : **violence à lécole fatalité on defie**, édition de Boeck, Université Bruxelles, Belgique, 2000, P134.
- 9- Ibid, P134.
- 10- Ibid, P134.
- 11- مكي دردوس: **الموجز في علم الإجرام**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص.205
- 12- Durand Bellat et van zanten Angrés henri : op.cit, P.
- 13- تشأت إكرام إبراهيم : **علم الاجتماع الجنائي**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009، ص.77
- 14- Pommereau xaxier : **l'adolescent suicidaire**, Duno, Paris, 2000,P161.
- 15- أدوين هـ. سذرلاند ورونالد كريستي : **مبادئ علم الإجرام**، ترجمة، محمد السباعي وحسن صادق المرصفاوي، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 1968، ص.262
- 16- السيد علي شتا : **المدرس في المجتمع المستقبل**، مكتبة ومطبعة الإشعاع، الإسكندرية، 1999، ص.35
- 17- معن خليل عمر : **التنشئة الاجتماعية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص.171
- 18- ناصر الدين زيدي : **سيكولوجية المدرس**، دراسة وصفية تحليلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص.222
- 19- نفس المرجع، ص.223
- 20- جون لوك، في شكور وديع جليل : **العنف والجريمة**، الجدار العربية للعلوم، بيروت، 1997، ص.94
- 21- نفس المرجع، ص.94
- 22- Durant Bellat et van zanteu Angrés henrid : op.cit, PP13-14.
- 23- فوزي أحمد بن دريدي، **العنف لدى التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية**، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، 2007، ص.132

- 24- مكي دردوس : مرجع سبق ذكره، ص 205
- 25- محمد سلامة غباري، **مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث**، العلاج الإسلامي ودور الخدمة الاجتماعية فيه، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1989، ص.75
- 26- عدنان الدوري : **جناح الأحداث**، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1985، ص.270
- 27- نفس المرجع، ص270-271
- 28- سعد المغربي : **انحراف الأطفال**، دار المعارف، مصر، 1960، ص.160
- 29- Durant Bellat et van zanteu Angnés henrid : op.cit, P185.
- 30- معمريّة بشير : **المشكلات السلوكية لدى التلاميذ التعليم الابتدائي**، مجلة بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007، ص.133
- 31- عدنان الدوري، مرجع سبق ذكره، ص.139
- 32- نشأت أكرم: مرجع سبق ذكره، ص.79
- 33- جليل وديع الشكور: مرجع سبق ذكره، ص.102
- 34- عدنان الدوري، مرجع سبق ذكره، ص.266
- 35- نشأت أكرم، مرجع سبق ذكره، ص.80
- 36- أدوين سذرلاند ورونالد كريستي، مرجع سبق ذكره، ص.267
- 37- مكي دردوس : مرجع سبق ذكره، ص.207
- 38- علي مانع : **عوامل جنوح الأحداث في الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002، ص.121
- 39- بشير معمريّة : مرجع سبق ذكره، ص.119
- 40- أكرم نشأت إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص.55
- 41- نفس المرجع، ص.57
- 42- نفس المرجع، ص.57
- 43- Parent Ghyslam et pheauene Denis : **la prévention du suicide à l'école**, Presse de l'université de quebec, Canada, 2004, P31.
- 44- Ibid, P32.
- 45- Ibid, P33.